

## ماذا وراء سقوط الطائرة المصرية في شرم الشيخ؟

### الكولونيل شربل بركات

يعتبر منتجج شرم الشيخ الذي استعادته مصر من إسرائيل بعد اتفاقات كامب ديفيد وخروج الدولة العبرية من كل سيناء، أحد أهم المرافق السياحية المصرية فهو يقع على البحر الأحمر الذي تكثر فيه أنواع الأسماك والصخور المرجانية ويتمتع بطقس دافئ في أيام الشتاء التي يكون البرد يلف فيها أوروبا. ويعتبر السكندنافيون إضافة إلى الفرنسيين والإنكليز، أكثر رواد هذه المنتجعات السياحية وهي تدر كما السياحة في أسوان وسياحة المراكز الأثرية مبالغ كبيرة على الخزينة المصرية ما يجعلها مهمة لاقتصاد الدولة. من هنا يحرص المصريون بالعادة على جعل هذه المراكز البعيدة عن الكثافة السكانية بعيدة عن أجواء الصراعات ولا يرتبط اسمها إلا بالاجتماعات الدولية التي تسعى إلى الحلول وخاصة سلام المنطقة. وعندما يكون السيد طونسي بلير رئيس وزراء بريطانيا ضيفا على هذا المنتجع في فرصة الأعياد هذه نعلم بالضبط المستوى الذي تسعى للإبقاء عليه الدولة المصرية والأجواء الأمنية التي تحاول هذه أن تحافظ عليها.

ويتدخل القدر، ربما، لتسقط طائرة مصرية تقل مجموعة من الركاب الفرنسيين العائدين من فرصة الأعياد التي قضوها في هذا المنتجع وبينهم عائلات بكاملها، ويبلغ عدد المفقودين ١٤٨ شخص من ضمنهم طاقم الطائرة

ال ١٣

في المعلومات التي نشرتها السلطات المصرية أن الطائرة اختفت عن شاشة الرادار فجأة ولم يبلغ قائدها عن أي خلل وذلك بعد إقلاعها من المطار وقطعها مسافة ١٢ كيلومتر تقريبا لتسقط فوق منطقة يزيد عمقها على المئة متر ولا يخرج من حطامها سوى بعض البقايا الصغيرة التي طفت على وجه الماء بعد ارتطام الطائرة بأرض البحر، كما يعتقد، لأن الطائرة، غاصت بشكل كامل حتى قاع البحر.

يلف الغموض ما جرى حتى الآن، ولو أن أحد المسؤولين المصريين صرح بأن الطيار ربما حاول العودة إلى شرم الشيخ بعد أن اكتشف بأن عطلا ما طرأ، وهو قد حاول الالتفاف ثم سقط بشكل عامودي، وهذا ما يفسر عدم طفو أجزاء الطائرة على سطح الماء.

بالرغم من أننا لا نحب أن نكون دوما من المنتشائمين أو أولئك الذين لا يرون إلا السواد في الأمور، ولكننا نتذكر في هذا الموقف حادثا آخر لطائرة مصرية أقلعت من نيويورك منذ حوالي خمس سنوات، ثم، وبعد أن وصلت إلى الأرتفاع المطلوب وتسلمها مساعد الربان، هوت بشكل عامودي تقريبا لتنتهي في قاع المحيط، ويومها قالت شركة بوينغ الأميركية صانعة الطائرة أنه لا يمكن أن يكون سبب سقوطها عطلا فنيا، سيما وأن مساعد الربان الذي كان يقودها ساعة وقوعها كان قد تلا بعض الآيات القرآنية وكأنه يتحضر للقاء ربه، ثم دفع بها إلى الأسفل. يومها حاولت الحكومة المصرية بكافة الوسائل أن تبعد فكرة التخريب عن الموضوع، وقد طوي التحقيق بدون نتائج في العلن ولكننا لا ندري ما توصل إليه في الخفاء. فهل هناك تشابه في الحالتين؟ وإذا كانت طائرة نيويورك تحمل ضباطا مصريين من رتب عالية تدرجوا في الولايات المتحدة ربما أراد الإرهابيون التخلص منهم فاستعملوا أحد مجنديهم الغير ظاهرين في الوقت المناسب، فماذا كان على هذه الطائرة؟ وما الذي يجعلها هدفا للإرهاب؟

إن طريقة الجماعة المصرية في الإرهاب، وبعد أن قامت السلطة بملاحقتها بشدة وتوقيف عدد كبير من عناصرها، هي العمل في الخفاء وتجنيد أكبر عدد من المؤيدين الجاهزين تحت الطلب لأية أوامر، وإذا ما كان الدكتور أيمن الظواهري أحد كبار مساعدي بن لادن لا بل، بحسب البعض، الرأس المدبر وراء عمليات الحادي عشر من سبتمبر، هو كبير إرهابيي مصر، فلا شك بأن جماعة الإرهاب المصرية يجب أن تكون على مستوى عال من التنظيم والسرية وعلى مستوى رفيع من حيث التخطيط لعملياتها. فتجنيد طيارين في الخدمة في مجال الطيران المدني أسهل بكثير من تجنيد جنود من فرق مختارة لتدريب للقيام بالعرض العسكري أمام الرئيس السادات، يومها في ذكرى حرب تشرين، والقيام بعملية الهجوم على المنصة وقتل الرئيس نفسه. وبحسب التحقيقات المصرية كان لأيمن الظواهري يد في التخطيط لتلك العملية. فهل لا يزال على صلة بالجماعة المصرية؟ وما مدى تأثيره على نشاطها؟ وهل تكون أصابع أمثاله وراء عملية طائرة "إيجبت إير" في نيويورك وطائرة شرم الشيخ هذه؟

لا شك أن جهاز مخابرات دولة مصر العربية يعرف هذه التفاصيل وأكثر منها، ولا شك بأنه يحاول كل المستطاع لمنع تكرار مثيلاتها، ونحن نعتقد أن مصر تقوم بكل ما بوسعها لمنع مثل هذه الأعمال، ولكن أن نتخفى خلف أصابعنا ونرفض حتى إمكانية الإشارة إلى عمل تخريبي يقتل فيه ٤٨ راكبا وملاحا فهذه سذاجة إذا لم تكن عدم جدية.

ولكن ما فائدة القاعدة أو الحركات التخريبية في هذه الحالة من قتل هذا العدد من المدنيين ودون الإشارة إلى السبب أو حتى تبني العملية؟ ولماذا اختيار الفرنسيين في ظرف تعتبر فيه فرنسا أكثر من يدافع عن القضايا العربية وأكثر من يتفهم شعور العرب بين الدول الفاعلة؟ هل كانت هذه هدفا أسهل من غيره؟ أم أنها الصدفة؟ أم ماذا؟

يعتبر العلم الجنائي أن المجرم الذي ينجح باستعمال طريقة معينة في جرمه يميل بالعادة إلى تكرارها، ثم إن الطائرة تعتبر أسهل هدف يضم عددا كبيرا من المسافرين يمكن أن يقضى عليهم بسرعة، لذا يعتبر العالم مهمة حماية أمن المطارات والطائرات الأهم والأكثر متابعة في هذه الأيام. ولذا على السلطات المصرية خاصة، والعربية عامة، التنبه إلى موضوع تجنيد الطيارين من قبل منظمات الإرهاب، وليس فقط زيادة التفتيش والتأكد من الركاب وأمتعتهم. وقد تأثر الطيران والرحلات من وإلى أوروبا والولايات المتحدة في أسبوع الأعياد بشكل كبير وتوقفت عدة رحلات بسبب معلومات حول عملية في إحدى الطائرات، فهل يكون تسريب الخبر حول عملية في أوروبا هو من قبيل التضليل ليتم التركيز على الهدف الأساسي؟ أم أنه عندما لم تنجح العملية في أوروبا استبدلت بأخرى ضد أوروبيين في مصر؟

أما لماذا اختيار الفرنسيين ولماذا في مصر بالذات فهناك احتمال أن تكون العملية ردا على موضوع منع الحجاب في المدارس الفرنسية وهو أحد أسلحة المتطرفين الذين يريدون من الحجاب المساهمة في زيادة التمييز بين المسلمين وبقية العالم، ليسهل إبعادهم عن التعاون ضد هؤلاء، والشعور بأنهم أقرب إليهم أكثر فأكثر، وبذلك يسهل التأثير عليهم، ومن ثم تجنيد أكبر عدد منهم لمتابعة خطط الإرهابيين الجهنمية في السيطرة على العالم وفرض الإسلام على مجتمعاته. وقد ورد على لسان أحد الأئمة الناطقين باسم هؤلاء الأصوليين بوجود الرد على فرنسا بأية وسيلة ممكنة. وبما أن شيخ الأزهر كان قد أفتى بحق فرنسا بفرض الأنظمة التي

تريد في بلادها دون أن يتنافى ذلك مع الدين الإسلامي، فمن الممكن أن يكون رد المتطرفين ضربة كبرى مشتركة لفرنسا، التي سوف تقلل من سيطرتهم بقرارها هذا، ولمصر التي وافقت بلسان شيخ الأزهر، أعلى سلطة سنية في العالم يمكنها أن تنكر على هؤلاء غوغائيتهم واستغلالهم للدين ستارا للتطرف والتعصب الأعمى ومحاربة العالم المختلف عنهم تحت شعارات، ها هو الدين، ولسان شيخ الأزهر، براء منها.

إن تحليلنا هذا للأمر يبقى برسم التحقيقات ولو أن هذه قد لا تكشف، كما جرى في موضوع طائرة نيويورك، ولكن المهم أن تفتح العيون على بعض الأمور التي تهم الناس وتتعلق بحياة المدنيين أينما كانوا ولأية دولة أو شعب انضموا، أوليس سبحانه تعالى هو القائل في قرآنه الكريم "أن من قتل نفسا بغير ذنب فكأنما قتل الناس أجمعين". وهل للعالم أن يصمت ويقبل بغي هؤلاء وبعدهم لكل من خالفهم الرأي، وبعدهم التمييز بين بريء ومذنب فيصبح القتل من أوامر الله، والحقد من فروض الصلاة، والحقد من طرائق التبشير؟

إن على الحكومة المصرية إلا تستبعد هذا الخط من تحقيقاتها كما على الفرنسيين أن يأخذوه هم أيضا بالاعتبار، وعندما يعثر على الصندوق الأسود ستتكشف بالتأكيد أمور كثيرة وقد لا يعلن عن كل ما فيها كي لا تؤثر هذه على سياحة مصر وطيرانها ونظرة العالم إليها. ولكن حياة الناس لا يجب أن تكون بيد أيمن الظواهري أو بن لادن أو نصر الله وأمثالهم ممن يبررون، بأقوال الله، قتل الناس ويشحنون نفوس الفقراء البريئة بالحقد الأعمى وكأنه أمر من الله عز وجل، بل على المسؤولين في كل قطر ودولة أن يواجهوا هذه التيارات المجرمة ويوقفوا أئمتها والداعين لها أينما كانوا لأنهم لا يعرفون من كتب الله إلا ما يساهم في تنفيذ مخططاتهم وسياساتهم.

يبقى أن ١٣٥ شخص كانوا في واحد من أجمل منتجعات العالم السياحية وقد أمضوا فيه فرصة لا تنسى، قد ينساهم العالم ويعتبرهم مجرد ضحايا حادث أو صدفة، بينما هم، بالحقيقة، شهداء الإنسانية المنفتحة والمتعاونة، والتي تسعى لتوزيع الثروة، ولو بالسياحة، ونشر البجوحة، ولكن الحقد الراجع من غياهب التاريخ يصر على أن ينتقم، بدون سبب، ويقاوم بدون عدو. فهل سنسمع من ألسنة المدعين بالغيرة على شعوب المنطقة رفضا لهذه الأساليب؟ وهل سنرى تشددا ضد الأصولية ومبشرتها؟ أم مهادنة لهم ومحاولات استرضاء وتفسير لتصرفات يرفضها كل منطوق وكل دين؟